لقد تبين بالذي أوحينا اليك من المشتمل على الحقائق الفاخرة لكن لو ذهبنا به فانك وكل حجاجك
عليها ثم لا تجد لك به علينا وكيلا يطالبنا به اذ لا طريق الى علم الحقائق سوى الوحي الالهي الا
رحمة من ربك فانها كالوكيل لك لو لم ينزل عليك القرآن لكن الايجاب بل بطريق التفضل ان فضله
كان عليك كبيرا فلو قطع عنك القرآن لتفضل عليك بطريق اخر فان قالوا فلم لم يتفضل عليك
بطريق اخر بل عين القرآن قل ان فضله بانزال القرآن ليس كفضله بطريق اخر لان القرآن جامع
للا يتناهى من الحقائق وغيره ليس كذلك لذلك قل لئن اجتمعت الانس والجن المتفرقون زمانا
ومكانا مع اختصاصهم بالعلوم الجليلة والدقيقة على ان يأتوا بمثل هذا القرآن الى اشارة الى اعجازه
الغريبة لغرب ماخذ حقائقه ودلائله ورفع شبهاته لا يأتون بمثله لان غايتهم افادة امور متناهية
والقرآن مشتمل على ما لا يتناهى فلا يتصور كونه لاحدهم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا معينا سيما
لعبارة البق من النظم والنثر مخالفة لاسلوبها لا يخلو باعجازه مكرا لاجارفيه مع اختلاف
العبارات فانا لقد صرفنا اي اوردنا على انحاء مختلفة للناس الغافلين عن بعض الفوائد من عناية
لتذكرها من اخرى ولابد من جميع الفوائد في هذا القرآن الجامع لها سيما في الامور الجليلة من كل مثل
اي امر عجيب يضرب المثل لكن المبالغة في جميع الفوائد انفس بالعناية لقصد رنظرهم على ظاهر
التكرار الى انكار الاعجاز فابى اي امتنع اكثر الناس ان تستفيدوا شيئا من تلك الفوائد الا كفورا
حين كفروا باعجاز القرآن الذي لا مجال لتوهم السحر فيه وقد توهموه في سائر المعجزات الفعلية
قالوا لن نؤمن لك اي لا نأتك حتى تأتي بما يشبه النواب الاخروي مثل ان تفجر لنا من الارض ينبوعا
وغورسنا على العموم من الارض اي ارض مكة ينبوعا اي كثير الماء او تكون لك على الخصوص جنة من نخيل
وعنب لا تستخف في سعتها فتفجر الانهار خلالها اي في اوساطها لتصل الرطوبة الى الكل تفجيرا لم
يعهد مثله في كثرة الماء والسقي من غير عمل او تأتي بما يشبه العقاب الاخروي مثل ان تسقط السماء
كما زعمت ان نشأ نخسف بهم الارض او تسقط عليهم كسفا من السماء عليك كسفا اي قطعا او تأتي بالله
الذي هو خالق الثواب والعقاب والملائكة الذين هم اسبابهما قبيلا اي عيانا يصدقونك
ليصير واعاينين بالثواب والعقاب وكانك حسبت بعينها فلا حاجة الى الاتيان بما يشبههما او
يكون لك زخرف من ذهب بما يشبه بالثواب والعقاب ولا بما يقوم مقام عينهما ما يظهر به فضلك علينا
المانع لك من الكذب اما في الارض بان تكون لك جنة من نخيل وعنب اي من جنس ما يتزين به كالذهب
والفضة والجواهر او في السماء بان ترقى في السماء فتتكلم معها وبجملتك غير مسلمة لنا ولن نؤمن
لرقيك لاحتمال انك سحرت اعيننا بذلك حتى تنزل علينا كتابا لا يذهب بمرة بل لا يزال المعجزة
قل هذه الاشياء انما تقترح على من يدعي كمال القدرة لكن سبحان ربي من ان يشارك في قدرته

فان قدر

فان قدر على مثلها غيره فلا يقدر البشر لكنني بل كنت الا بشرا لا يجعلني من غيره وان كنت رسولا ولا يقدر
عن عدم اتيانه بالايات المقترحة بكونه بشرا جعلوه المانع من الايمان فقال تعالى وما منع الناس
ان يؤمنوا بالرسل مع تحقق سببه اذ جاءهم الهدى الا ما لا يصلح للمنع وهو ان قالوا ابعث الله
بشرا رسولا مع انه لا بد من مناسبة الرسول للمرسل قل اعتبار المناسبة بين الرسول والمرسل
اليهم اولى من اعتبارها بين الرسول والمرسل فعلى هذا لو كان في الارض ملائكة يمشون ولا يطيرون
الى السماء مطمئنين لانجاحون من الله ولا يطيقون مزيد القرب منه مع غايتهم لذلك لنزلنا
عليهم من السماء ولاقتضاء بقائه الكمال الممكن لهم ملكا رسولا يكلمهم ويحوزهم فان قلوا انه لا بد
من جنسية الملك ليكون شاهدا للرسول على صدقه قل كفى بالله شهيدا وقد شهد باظهار المعجزات
شهادة قاطعة للنزاع بيني وبينكم ولا كذب في شهادته لانه نقص فلا يتصور في الشهادة
الناشئة من صفات الكمال كالخبرة والبصيرة انه كان بعباده خبيرا بصيرا وشهادة المعجزة وان
كانت تخلق علم ضروري عقيبها فلا يهتدي بها الكل لا يهتدي بما يعرف كونه بدوي في تقسيم
بل من يهد الله فهو المهتدي سواء بدلها اسباب او بدونها ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء
من الاسباب اذ لا تاثير لها من دونه اي من دون عنايته لكن لا عناية له بل الضلال و
ان خلقتهم حشرنا عليهم الوجوه نائمين بصراء ساعين بل لا لم يشكروا بذه النعم اذ هم موتى
الى غير ما خلقت له عكس عليهم الامر لذلك نحشرهم يوم القيمة الذي يتصور فيه المعاني الحاصلة
من التصرفات الانسانية منكبين على وجوههم لتنكيسهم الايات العالية عميا لا يبصرون ما فيها
نجاتهم اذ لم يبصروا حقائق الايات وبكما لا ينطقون بما فيه نجاتهم اذ لم ينطقوا في الدنيا
بمقتضى الايات وصما عاتية راحتهم اذ لم يسمعوا الايات ولو سمعوا لم يزدادوا الا كل ما خبت
لذلك ومأواهم جهنم كلما خبت اي طفئت في حقهم عند احتراق جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا
اللحوم والجلود سعيرا ذلك جزاؤهم لا على الاضلال بل على اختيار الضلال المستتبع
للاضلال من الله بانهم كفروا بايتنا فجعلوها من قبيل السحر النازل لم يستعملوا فيها البصائر
ولا سمعوها لالسنتهم بل قالوا ايذا كنا عظاما ورفاتا اي نبعث اذا تفتت لحمنا وتقطعنا عظاما
بل رفتت عظامنا فصارت رفاتا ايئنا لمبعوثون اي لمحققون كونا مبعوثين فان تحقق الممكن
معاد بن على خلقا جديدا وكما عطلوا الحظ الى الايات المذكورة على زعمهم انها سحر عطلوه في سائر
الايات ايضا اولم يروا في الايات الافاقية التي لا مجال للسحر فيها ان الله الذي خلق السموات
والارض قادر على ان يخلق مثلهم وهو اخرى بطريق الاعادة فالقدرة التي هي سبب الوجود
محققة والا تحقق للمانع اذ لا يصلح عدم جريان السنة الالهية مانعا وغيره ليس مانعا اتفاقا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)